" قراءة في موقف حركة حماس من الأزمة السورية"

أ.م.د.نادية فاضل عباس فضلي

قسم دراسة الازمات

المقدمة

لقد ألهبت ثورات واحتجاجات الربيع العربي التي بدأت بوادرها في بداية العام ٢٠١١ الآمال العربية بالتغيير والإصلاح بمختلف جوانبه الشكلية والموضوعية ، ولكنها في ذات الوقت خلقت تحولاً مفاجئاً في المجتمعات العربية من حيث ما سيؤول اليه شكل وصورة الحكم السياسي الجديد وكيفية التعامل والتكيف معه بعد عقود طويلة من الحكم الشمولي هذا من جانب ومن جانب اخر نرى ان بعض النظم العربية الآن يتم صياغتها وانتاجها بصيغ ديكتاتورية اخرى وبحلة جديدة وهذا مايجعلنا نتساءل ماجدوى هذه الثورات في بعض الدول العربية وماجدوى الدماء العربية التي تسيل يومياً بلا توقف او هواده .

وبطبيعة الحال المشهد السوري لا يختلف عن نظيراته من الدول العربية التي حدثت فيها الثورات ومازالت مستمرة ، فسوريا آلان في مخاض عسير في الميدان العسكري من جانب ومن الجانب الآخر قواعد اللعبة السياسية فيها مازالت غير واضحة وشكل النظام المرتقب غير متفق علية من جانب قوى المعارضة ، وبالنسبة لحركة حماس فشأنها شأن الدول الاقليمية كان لابد ان يكون لها موقف واضح من الازمة السورية لاسيما وأنها أرتبطت بعلاقات إستراتيجية وسياسية متينة مع النظام السوري الذي استضافها منذ العام ١٩٩٩ بعد خروجها من الاردن وقدم لها الدعم المادي والسياسي، وبذلك نرى أنها قد وضعت على المحك إزاء الأزمة السورية وأيضاً وقفت أمام تحدي سياسي خطير ، فالنظام السوري لم يدخر جهداً في مساعدتها واحتضن قياداتها كجزء من إستراتيجية النظام بوصفه دولة ممانعة في مواجهة إسرائيل ، وعليه أضحت حركة حماس خجولة ازاء مايتعرض له الشعب السوري من مآسي وبين الوفاء ورد الجميل للنظام السوري أذن هذا مأزق خطير وضعت فيه القيادة السياسية لحركة حماس.

والحقيقة تبين ان الأزمة السورية بمثابة كارثة عظمى هزت منطقة الشرق الاوسط فقد تجاوزت حدودها الجغرافية والاقليمية لتصبح مشكلة عالمية ولربما افغانستان ثانية ولكن بلباس عربي ، فالمشكلة السورية ذات جذور عميقة في تاريخ الشعب السوري بسبب مايعانية المواطن

السوري من انكسار نفسي وغياب الحريات واحترام حقوق الانسان وعدم وجود اصلاح سياسي حقيقي ، وتوسعت المشكلة لتصبح معضلة يصعب علاجها، ولهذا انضم الشعب السوري لمسيرة الثورات العربية ودخل النفق المظلم دون ان يكون لهذا النفق نهاية لحد الآن، مع جود خلط متشابك في الاوراق في هذه المنطقة فالاصطفافات الاقليمية متغيرة منها ماهو مع الشعب السوري ومنها ماهو متمسك بنظام بشار الاسد ، فضلاً عن ان النظام السوري قد يتعرض في اي وقت لضربة امريكية غربية بعد سنوات من المد والجزر وهذا يعني ان خارطة المنطقة ستتغير، وطبيعة التوازنات الاقليمية والدولية سيكون لها ترتيب اخر وهذا ما ادركته حماس بشكل واضح بواسطة حلفاءها الحاليين تركيا وقطر.

وكانت الأزمة السورية قد فرضت نفسها بشدة على طبيعة العلاقة بين النظام السوري وايران وحزب الله من جهة وحركة حماس من جهة أخرى ، فالنظام السوري وحلفائه فسروا صمت حماس بأنه تخلياً واضحاً عن النظام السوري ومحور الممانعة وطالب المحور قيادات حماس بإعطاء تفسيرمنطقي لموقف الحركة ومن هنا سيحاول البحث الاجابة عن فرضية قوامها ان مخرجات بعض الثورات العربية كانت إيجابية على حركة حماس بإستثناء الأزمة السورية التي تسببت لها بمشاكل معقدة على كافة المجالات وتحديات متعددة والتي قللت من مكتسباتها وايضاً الثورة المصرية التي حققت لحماس بعض المكتسبات في المنظور القريب من جراء علاقاتها المتميزة مع حركة الاخوان المسلمين في مصر وحزب الحرية والعدالة الحاكم والذين ينتميان للمدرسة الفكرية لمؤسس الحركة " حسن البنا"، ولكن الموضوع تطور في مصر وتم عزل الرئيس " محمد مرسي" واستبعاد الاخوان المسلمين من المشهد السياسي بموجب الانقلاب السياسي الذي قاده الفريق " عبد الفتاح السيسي" في ٣/تموز /٢٠١٣، وبذلك انقلب الوضع وانعكس بشدة على حركة حماس وتضررت الحركة بشكل واضح لأن النظام العسكري الماسك بزمام الامور في مصر الان لايرغب بإقامة اي علاقة مع حركة حماس بل يعدها الخطر الاساس على الامن القومي لمصر لان وجود قياداتها في مصرقد يتيح تدخلاً إسرائيلاً سافراً بالشأن المصري وربما احتلال سيناء بالمستقبل المنظور من وجهة نظرها، فهناك

رؤية سياسية لأسرائيل قوامها ترحيل الفلسطنيين من غزة وتوطينهم في سيناء ، من هنا ننطلق من فرضية ان حركة حماس اصبحت في وضع سياسي لاتحسد عليه ابتداءاً بسوريا وصولاً لمصر وبذلك خسرت رهاناتها على هاتين الدولتين، وعليه سيتم تقسيم هذا البحث الى المباحث الآتية:

المبحث الاول سيتناول علاقة حركة حماس بالمحور الإيراني –السوري –حزب الله قبل قيام الثورة السورية

المبحث الثاني سيتناول موقف حركة حماس من الأزمة السورية في ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية

المبحث الأول:علاقة حركة حماس بالمحور الإيراني– السوري – حزب الله

قبل الحديث عن علاقة حركة حماس بالنظام السوري قبيل اندلا ع الأزمة علينا الاطلا ع عن كثب عن ابرز المنطلقات الفكرية لهذه الحركة وابرز الاهداف التي ترنو الى تحقيقها وعلاقاتها بالمحور الإيراني– السوري– حزب الله ، وذلك لاستقراء موقفها من الثورة السورية فيما بعد.

حركة حماس كانت قد تأسست في ٨ كانون الأول ١٩٨٧ بزعامة مرشدها الشيخ " أحمد ياسين"والتي اعلنت انتمائها المباشر لحركة الإخوان المسلمين (١).

وهي حركة مقاومة فلسطينية سعت ولازالت تسعى لإزالة الاحتلال الإسرائيلي عن ارض فلسطين والتي هي في نظر الحركة " ارض وقف إسلامي " على اجيال المسلمين الى يوم القيامة ، ولا يصح التفريط بها او بجزء منها او التنازل عنها او عن جزء منها ، وحماس بجانب كونها حركة مقاومة ، فهي حركة إسلامية اي الاسلام منهجها منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان ، واليه تحتكم في كل تصرفاتها ومنه تستلهم ترشيد خطاها ، وبالتالي تكتسب النزعة الوطنية لدى حماس إطاراً متفرداً عن أي حركة علمانية أخرى ، ولو أنها سعت لذات الهدف الذي ترنو إليه حماس وهو التحرير وإقامة الدولة ، وبهذا فالحركة عقدية تحتكم إلى جملة من المبادئ والثوابت الإسلامية التي تتشكل وفقاً لها أهداف الحركة وبرامجها ، وتأسيساً على هذا تعد الايديولوجيا أهم روافد الاهداف للحركة ، والتي جعلت هدفها الاستراتيجي تحرير فلسطين انطلاقاً من رؤيتها الفكرية النابعة من عقيدتها الإسلامية ، وبالتالي تتوحد هذه النزعة الوطنية والدفاع عن وطن واستعادة ما احتل من الارض بالنزعة الدينية التي تنظرالى فلسطين الارض كثابت وطني وواجب ديني يحتم القيام بواجب التحرير تجاهها (٢).

كما تسعى الى تحرير كامل الارض الفلسطينية ، وقضية تحرير فلسطين تتعلق بدوائر ثلاث هي الدائرة الفلسطينية والدائرة العربية والدائرة الإسلامية ، وكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث لها دورها في الصراع مع الصهيونية وعليها واجبات ، فحماس ترى أن جبهة القتال مع العدو يذودون عنها أهلها فإن لم يكفوا فالذين يلونهم من المسلمين حتى يصبح واجب تحرير فلسطين فرض عين على كل المسلمين ، وهذا ما اكدته المادة الثانية والثلاثين من ميثاق الحركة ، اذ تعد حركة المقاومة الإسلامية نفسها اول خطوة في الطريق(٣).

في واقع الامر كان هناك ومازال انقسام واضح بين حركتي فتح وحماس ، ففتح ترى نفسها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ، في حين لحماس رؤية اخرى من الاتفاقيات مع اسرائيل ، وبالفعل انقلبت على السلطة الفلسطينية وقامت بتأسيس مشروعها الاسلامي المقاوم رغم كل التحديات التي فرضها الحصار الخانق على غزة ، دون ان تأخذ بنظر الاعتبار تداعيات الانفصال بغزة على القضية الفلسطينية عامة ، اذ تحولت الجهود المعنية بالصراع العربي – الإسرائيلي نحو كيفية إنهاء الانقسام الفلسطيني – الفلسطيني وانهاء الحصار المفروض على غزة ، وبرؤية اخرى فإن الجهود تنصب الى العودة بالأمور إلى ماكانت عليه قبل كانون الاول من العام ٢٠٠٦ ، اي قبل الانتخابات التشريعية التي أجريت في ذلك التأريخ والتي فازت بها حركة حماس في حزيران من العام ٢٠٠٧ ، اي تاريخ انقلاب الحركة على السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية ، وكان صعود حماس قد اثار رؤية جديدة بإمكانية تدشين رؤية جديدة للتعامل مع إسرائيل قوامها المقاومة والمفاوضات ، اذ بدأت حماس مسيرتها بالمقاومة المسلحة وتبنت العمليات الفدائية ، وعارضت افكار التسوية السلمية (٤).

والمشكلة الحقيقية المتعلقة بحماس خاصة منذ دخول عملية التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي في أسوء مراحلها التي بدأت مع تفجر انتفاضة الاقصى ثم تولي " أرييل شارون" الحكم في إسرائيل وما تلاه من تأكيد سيطرة اليمين الإسرائيلي المتطرف ليس على السلطة في إسرائيل فحسب بل وعلى توجهات الرأي العام الإسرائيلي بشكل غير مسبوق ، وهي

أن الطرف الإسرائيلي مدعوماً من الولايات المتحدة الامريكية بات مصراً على تبني فكرة ان الحل يكمن في ضرورة عزل حماس او القضاء عليها ، وهو ما انعكس بوضوح في خطة خريطة الطريق إذ نصت على ضرورة العمل على محاربة العنف الفلسطيني ، واستغلته إسرائيل جيداً بالتسويق لفكرة أن محاربة الإرهاب الفلسطيني هي جزء أصيل ، او يجب لها أن تكون جزء من الحملة التي تشنها الولايات المتحدة الامريكية منذ أحداث ايلول من العام ٢٠٠١ ضد الإرهاب(٥).

بالمقابل لم يكن حزب الله بعيداً عن الإستراتيجية الأمريكية التي تبلورت بعد هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، فقد تم إدراج الحزب في ٢ تشرين الثاني ٢٠٠١ على قائمة الجماعات التي تعدها الولايات المتحدة الامريكية إرهابية وحتى لدى انتشار الأفكار الأمريكية حول نشر الديمقراطية في الشرق الاوسط بعد احتلالها للعراق ، وكانت الادارة الامريكية ترى ضرورة نزع سلاح حزب الله من منطق ديمقراطي ، لأنه لا يجوز في دولة ديمقراطية ان يوجد سلاح دون الدولة ، يحول دون بسط سيادة الدولة على اراضيها ، وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد أدرجت ايران ضمن قائمة محور الشر مع العراق وكوريا الشمالية ، وقبل الاحتلال الأمريكي للعراق كانت الولايات المتحدة الأمريكية اعلنت عن موافقتها على قيام دولة فلسطينية وفقاً لخارطة الطريق ، ماكان يستلزم تهيئة الأجواء الإقليمية والعربية لقبول دولة فلسطينية بالشروط الإسرائيلية ، وبالتالي كان هناك ضرورة أمريكية لفك التحالف بين سوريا وحزب الله لإرباك إيران واحتواء طموحها النووي ، وعزل سوريا عن لبنان ومنع تقديم الاطراف الثلاثة مساعدات الى التنظيمات الفلسطينية وخصوصاً حركة حماس(٦).

وفي أعقاب احتلال العراق في نيسان ٢٠٠٣ باتت سوريا في دائرة الاستهداف الأمريكي المباشر ، ووجهت إدارة بوش لها اتهامات بدعم المقاومة المسلحة العراقية ، وزار وزير الخارجية الامريكي " كولن باول" دمشق أواخر نيسان ٢٠٠٣ حاملاً عدة مطالب لسوريا ، منها انسحاب سوريا من لبنان والوقف الفوري لمساعداتها لحزب الله وجماعات المعارضة الفلسطينية ، والعمل على تحسين المناخ مع إسرائيل تمهيداً للوصول الى تسوية دائمة بين الجانبين ، ومع هذه

الضغوط على سوريا أعلن " حسن نصر الله" في ٢٢ نيسان ٢٠٠٣، ((الكل يعرف أن آخر موقع للصراع العربي – الإسرائيلي هو سوريا ، التي عليها أن تقبل بالشروط الإسرائيلية في عملية التسوية نحن مدعوون الى الدفاع عن سوريا في كل المحافل وان نكون جاهزين للقتال ، لأن المعركة هي معركة الجميع والتهديدات التي تطال سوريا تطال لبنان وفلسطين)) (٧).

وما ان اندلعت الحرب بين إسرائيل وحزب الله في تموز من العام ٢٠٠٦ حتى بدا على الفور أنها حرب خارج الحسابات الثنائية للطرفين ، فقبيل الحرب كان التنافس الإقليمي قد بلغ ذروته بين الولايات المتحدة الامريكية وإيران في ضوء انسداد الأفق أمام حل دبلوماسي يقنع إيران بوقف تطوير برنامجها لتخصيب اليورانيوم ، واتهامها إلى جانب سوريا بإثارة الاضطرابات في العراق ، والتصريحات اللاذعة للرئيس الإيراني "أحمدي نجاد" ضد إسرائيل ، فتتبع الوضع الإقليمي عشية الحرب كان يؤكد بأن هناك محوراً امريكياً إسرائيلياً يريد إعادة تشكيل المنطقة وفق مصالحه ، وهو ماجعل إدارة بوش تنهمك في التخطيط لرد فعل إسرائيلي هجومي ضد حزب الله بعد عملية أسر الجنديين ، اذ وصف الرئيس الامريكي" بوش الاصغر" العلاقة بين حزب الله ومسانديه في إيران وسوريا بعدها واحدة من القضايا الجذرية لعدم الاستقرار بمنطقة الشرق الاوسط ، وفي ظل هذه الاجواء الاقليمية المتوترة أعطت الحرب أبعاداً إقليمية ودولية ، فأعلنت سوريا وإيران دعمهما الكامل لحزب الله ، ونظراً لان الحرب كان لها طابع إقليمي ودولي ، فقد كانت هناك رغبة دولية عامة وأمريكية خاصة ، بألا تشكل مخرجات الحرب مكسباً للمحور الإيراني – السوري، وكان الصراع الأمريكي الإيراني قد تصاعد في أعقاب الحرب ، وعلى نقيض ما كانت تتجه إليه أقلام غربية وأمريكية وأخرى عربية بأن على واشنطن أن تفتح حواراً مع إيران وسوريا للخروج من المأزق العراقي ولاحتواء الصراعات في المنطقة ، وايضاً على عكس توصيات لجنة بيكر – هاملتون حول العراق، والتي نصحت الإدارة الأمريكية بذلك، فإن الإدارة الامريكية ووفقاً لاستراتيجية "بوش الاصغر" في العراق في ١٠ كانون الثاني من العام ٢٠٠٧ ، وتمكنها من استصدار القرار ١٧٣٧ لفرض حظر جزئي على إيران فيما يتعلق بالمواد والآلات التي تستخدم في إنتاج اليورانيوم والبلوتونيوم ، ومطالبة مجلس الأمن بوقف

عمليات تخصيب اليورانيوم بنهاية شباط من العام ٢٠٠٧ ، فإن الولايات المتحدة الامريكية اتبعت سياسة تقوم على احتواء إيران ومحاولة عزلها عن محيطها ، كمقدمة لفك علاقاتها وتحالفاتها بالمنطقة وتحديداً سوريا وحزب الله وحركة حماس (٨).

ان حركة حماس كانت قد انضمت الى الحلف الايراني – السوري – حزب الله ،فقد نجحت ايران من خلال هذا التحالف بامتلاك ثلاثة حلفاء عرب رئيسيين وهم حركة حماس الفلسطينية وحزب الله وسوريا ، كما نجحت في تخطي حاجز كونها دولة شيعية لوجود حركة حماس السنية ، ولهذا فإن إيران تعمل على ترويج فكرة الإسلامية لأمكانية منحها المزيد من فرص التحاور بينها وبين العالم الإسلامي السني (٩).

كما ان ايران سبق ان أقامت تحالفاً مع منظمة التحرير الفلسطينية في مطلع عقد الثمانينيات من القرن الماضي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية من منطلق دعم المستضعفين وحركات التحرر ضد قوى الاستكبار العالمي ، وما يثار من علاقات إيران مع حماس والتركيز على هذه العلاقة فقط ، لأن حماس حركة إسلامية يفتقد إلى الدقة ، لأن قادة الثورة الإيرانية يحاولون الإيفاء بما قطعوه على أنفسهم بدعم القضية الفلسطينية بغض النظر عمن يتزعم قيادتها ، ثم إن الاختلاف الأيديولوجي بين إيران وحركة حماس لا يشجع كثيراً التركيز على هذا ألاساس المذهبي ، ولكن الحرب على العراق في العام ٢٠٠٣ ، وما بعدها والضغط الدولي الذي تعرضت له حماس بعد انتخابات العام ٢٠٠٦ ، ثم النتائج التي أفرزتها حرب ال (٣٤) يوماً بين حزب الله وإسرائيل كل هذا جعل إيران تستغل هذه التطورات التي تجري حولها للسعي الى تجذير دورها أو مشروعها في المنطقة ، ومن منطلق أن حركة حماس وجدت النصرة من إيران بخلاف النظم العربية ، فالتجأت الى إيران للخروج من أزمتها (١٠).

فالمعروف للقاصي والداني ان علاقة حركة حماس بنظام مبارك كانت غاية في السوء ، فنظراً لانخراط نظام "مبارك" فيما سمي بمحور الاعتدال في مقابل محور الممانعة ، كان لابد ان يتخذ " مبارك" موقفاً متشدداً من حركة حماس التي فازت بالانتخابات التشريعية لعام ٢٠٠٦ ،

ثم استقلالها بالقطاع في العام ٢٠٠٧ كما رأينا سابقاً والذي فرض على حماس حصاراً قاسياً سياسياً واقتصادياً من قبل الدول الغربية ومعظم الدول العربية ، كما شاركت مصر في هذا الحصار بدرجة كبيرة وذلك نظراً لكونها تشارك الحدود مع قطاع غزة وبالخصوص عبر معبر رفح ، والذي يعد الشريان الوحيد الذي يتغذى منه القطاع ، وتمظهر اثر الحصار المصري على قطاع غزة في الحرب التي شنتها إسرائيل على القطاع في أواخر العام ٢٠٠٨ ، ومن ناحية ثانية كان نظام " مبارك" يدير علاقته مع حماس من منظور أمني وليس منظوراً سياسياً لحفظ جبهة سيناء من حصول أية توترات أمنية فيها تأتي من قطاع غزة ، عن طريق شبكة الانفاق التي يتنفس من خلالها القطاع اقتصادياً ، ولكنها تستخدم ايضاً لنقل السلاح من وإلى القطاع ، وثمة علاقات عقدتها حركة حماس مع بدو سيناء ، بينما في المقابل تضاءل حضور الجهاز التنفيذي للدولة ، وهذه العلاقة اعطت الحركة نفوذاً نسبياً في شبه جزيرة سيناء قد تستخدمة في شن هجمات من سيناء ، وهو ماكان يزعج نظام " مبارك" وهذا محدد رئيس لعلاقة نظام مبارك مع حركة حماس ، فضلاً عن ذلك لاينبغي نسيان تلك العلاقة بين حركة حماس وجماعة الاخوان المسلمين المعارض الرئيس لنظام " مبارك" فحماس بمثابة امتداد للجماعة في فلسطين ، ومن ثم فتحقيق حماس النجاح في قطاع غزة شجع الاخوان على زيادة مزاحمتها السياسية لنظام مبارك ، وبالتالي لم يرق لنظام " مبارك" ،الذي لم يسمح بإقامة دولة إسلامية ناجحة على حدوده وهذا ماجعل حركة حماس تبحث عن بناء تحالفات جديدة ومن ضمنها الانضمام الى محور إيران – سوريا– حزب الله (١١).

وفي ظل القطيعة التي عانتها حركة حماس من البيئة العربية وخاصة مصر ، كان لها ثمة متنفس لها كيما تستطيع البقاء ككيان سياسي قادر على إدارة قطاع غزة والوقوف أمام الكيان الإسرائيلي ، وعدم ترك حركة فتح تتحدث بأسم القضية الفلسطينية ، وتمثل هذا المتنفس في كل من إيران وسوريا فقد وجد كل من حركة حماس وإيران وسوريا مصلحة متبادلة دفعتهما لبناء علاقات قوية فيما بينهما فبالنسبة لحركة حماس محددات العلاقة تمثلت بالآتي(١٢):

١. توفر كل من إيران وسوريا الدعم لحركة حماس بكل اشكاله:

أ . الدعم المالي اذ تحتاج الحركة الأموال لتدير قطاع غزة .

ب. الدعم العسكري اذ تحتاج الحركة للسلاح والتدريب.

ج. الدعم الإعلامي اذ تحتاج الحركة للتأثير في الرأي العام.

٢. توفر إيران وسوريا الغطاء السياسي للحركة لتعويض غياب الدعم العربي لها، وعليه فسوريا سمحت للحركة بفتح مكاتب سياسية رسمية لها ، كما استضافت قيادات مكتبها السياسي ، وكذلك إيران تستقبل قيادات الحركة رسمياً ومعترفة بها منذ العام ٢٠٠٦.

اذن نرى مما تقدم أن حركة حماس هي حركة فلسطينية إسلامية مقاومة للكيان الصهيوني وتسعى لتحرير كامل الارض الفلسطينية واستردادها من الصهاينة ، وهي في حرب مستمرة مع إسرائيل وتعدها الولايات المتحدة الامريكية والغرب عموماً من الحركات الإرهابية ولاتعترف بسلطتها على قطاع غزة المحاصر وعليه التجأت الى إلانضمام للتحالفات الأقليمية مثل المحور الإيراني– السوري حزب الله بعد ان وجدت ان خياراتها مع الانظمة العربية باتت محدودة ولاتجدي نفعاً بالنسبة لاستراتيجيتها المقاومة لإسرائيل وسياستها الرافضة للمفاوضات مع إسرائيل ، وحركة حماس كإيديولوجية لاترى ضيراً في التعامل مع إيران مادام ذلك يخدم مصالحها الاستراتيجية في حربها مع إسرائيل وكون ايران دولة إقليمية قوية لها وضعها ومواقفها التي تدافع عن القضية الفلسطينية والاقصى فهي تستطيع ان تتلاقى معها في مفصليات سياسية متعددة وان أختلفت معها مذهبياً ، فالبعد الديني لاعلاقة له بالبعد السياسي وهذا الفكر لطلما آمنت به حركة حماس، فضلاً عن ذلك ان نظام الاسد هو نظام قوي ويرتبط بإيران بعلاقات إستراتيجية منذ الثورة الايرانية في العام ١٩٧٩، فضلاً عن وجود مقاربات فكرية ربطت حركة حماس مع حزب الله فيما يتعلق بإيديولوجية مقاومة إسرائيل وإقامة جبهة ممانعة ضدها وعليه هذه الموائمة تستطيع ان تقدم مكاسب مرحلية لحركة حماس بعد العزلة التي عاشتها من النظم العربية ، وفقاً للظروف المرحلية في تلك الحقبة.

المبحث الثاني: موقف حماس من الأزمة السورية في ضوء المتغيرات الاقليمية والدولية

تعد سوريا رمانة الميزان الاستراتيجي العربي لموقعها الجغرافي المتميز من جهة ولرعايتها دعوة القومية العربية سواء على مستوى الفكر او الحركة من جهة ثانية ، ولرفعها لواء المقاومة والممانعة ضد المشروع الإسرائيلي المدعوم من الغرب من جهة ثالثة ، وكانت ايران قد احتفظت بعلاقات إستراتيجية وثيقة لأكثر من ثلاثين عاماً مع نظام الرئيس السوري السابق " حافظ الاسد" ومن بعده ابنه " بشار" وسيشكل سقوط هذا النظام تحدياً هائلاً لإيران ، خاصة بالنسبة لجناح المتشددين الذي يرى في الأزمة السورية مؤامرة أمريكية –صهيونية هدفها الاساس هو إضعاف وتحجيم الدولة الايرانية (١٣).

ومن جانب اخرسيتأثرالنفوذ الاقليمي لإيران سلباً من جراء تأثير الأزمة السورية ، فمن المعلوم ان تماسك المثلث ثلاثي الاضلاع الذي ضم إيران– سوريا–حزب الله ، يشكل أحد المعوقات الأساسية التي حالت دون إقدام إسرائيل على شن هجوم عسكري على إيران طوال الاربع سنوات الماضية ، ذلك أن تل ابيب ظلت طوال الوقت تتحسب لرد الفعل الذي يمكن أن يتصدر عن حزب الله بوجه أخص اذا ماشنت ذلك الهجوم، كذلك فإن سقوط نظام " بشار الأسد" سيؤدي الى حالة من التغيير الجذري في المنطقة ، وسيكون لذلك تداعيات مهمة على إيران ، فالدولتان تدركان ان سقوط إحدهما سيكون مقدمة للتدخل الخارجي في شؤون الأخرى وربما إسقاطها ، وفي ظل الاشتباك الاقليمي المتوقع يمكن تصور إستهداف إسرائيل بالصواريخ عن طريق سوريا او إيران اوحزب الله عن طريق تحويل طبيعة الأزمة إلى مواجهة قومية للعدو الإسرائيلي تجتذب أطرافاً إقليمية أخرى (١٤).

وبالنسبة لحركة حماس مثلت الأزمة السورية مأزقاً لها ، فسوريا تعد ظهيرا" إستراتيجياً للحركة ، في الحين الذي كانت هناك ثمة قطيعة قوية بين الحركة وباقي الدول العربية ، فالمكتب السياسي للحركة مقره دمشق منذ عقد من الزمن تقريباً ، وبالتالي لم يكن من اليسير على الحركة أن تجهر بتأييدها للثورة السورية ، كما فعلت في الحالة المصرية ، ولكن في الوقت عينه لايمكن لها أن تؤيد النظام السوري اذ يتنافى ذلك مع منطق الحركة بوصفها حركة تحررية تقف بجوار الشعوب لا الحكام ، وبالتالي اذا دعمت النظام السوري سيفقدها مصداقيتها الشعبية إذ كيف لحركة تحرر أن تؤيد نظاماً علمانياً ديكتاتورياً يصفي شعبه؟(١٥).

والواقع يشيرالى وجود عدد كبير من الفلسطينيين في سوريا فوفقاً لتقديرات " الأونروا" قد تجاوز عددهم نحو(٤٩٦٬٠٠٠)لاجئ فلسطيني ، يتمتعون بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والصحية نفسها التي يتمتع بها المواطنون السوريون والممنوحة لهم بموجب رقم ٢٦٠ لسنة ١٩٥٦ ، وقد تضمنت هذه الحقوق العمل في جميع الميادين مع احتفاظهم بهويتهم الفلسطينية ، وكان من أهم القوانين والقرارات التي صدرت في سوريا والتي ساعدت في تنظيم شؤون اللاجئين ، وتأمين مختلف حاجاتهم المدنية والقانونية ، القانون رقم ٤٥٠ الصادر في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٩، والذي أقر إحداث مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين العرب التي ترتبط بدورها بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل السورية ، وكان من مهمات هذه المؤسسة بصورة رئيسة وبعيداً عن الاهداف التي تشكلت من أجلها تنظيم سجلات بأسماء اللاجئين الفلسطينيين وأحوالهم الشخصية والاعمال والمهن التي يمارسونها، واحتضنت سوريا العديد من القوى السياسية الفلسطينية منذ انطلاق الثورة الفلسطينية والى وقت قريب ، على الرغم من ان هذا الوجود تعرض في بعض المحطات لإشكالات متعددة أبرزها وجود حركة فتح إذ أغلقت مكاتب الحركة في دمشق بعد انشقاق الحركة في لبنان في العام ١٩٨٣، حين وقفت سوريا رسمياً الى جانب المنشقين عن حركة فتح أي إلى جانب الذين أسسوا حركة فتح الانتفاضة ، وتعد الجبهة الشعبية القيادة العامة والصاعقة ، أكثر الفصائل الفلسطينية ولاء للنظام السوري وتتمتع بامتيازات عديدة

تفوق امتيازات الفصائل الموجودة في سوريا ، وكانت حركة حماس إلى وقت قريب تتمتع برعاية جيدة من نظام بشار الاسد الى حين خروجها من سوريا (١٦).

لذلك نرى ان تأخر موقف حركة حماس من ابداء رأيها في الثورة السورية هو التهديد المحتمل لقرابة نصف مليون لاجئ فلسطيني في سوريا قد يزج بهم في خضم الصراع في حال تبنت الفصائل الفلسطينية مواقف متضاربة حيال الثورة السورية ، كما حصل في احداث مخيم اليرموك في آيار ٢٠١١، والتي أسفرت عن سقوط العديد من القتلى برصاص فلسطيني، فقد حدثت نقلة نوعية في تفصيلات العلاقة بين الشارع الفلسطيني والثورة السورية في ٦ حزيران ٢٠١١وهو اليوم الذي تحولت فيه تشييع شهداء مسيرة العودة الثانية في ذكرى النكسة إى تظاهرة مناهضة للنظام السوري وللفصائل الفلسطينية عامة ، وخصوصاً لتلك المؤيدة للنظام السوري بشكل خاص ، بينما أطلقت الجبهة الشعبية القيادة العامة النار على المتظاهرين السلميين بعدما توجهوا الى مقر هذا التنظيم في" الخالصة " في مخيم اليرموك بدمشق فقتلت عدداً منهم وجرحت العشرات ، ففي ذلك اليوم عبر الفلسطينيون عن رفضهم لان يكونوا أداة لإخماد الثورة السورية ، وفي ظل هذه الضغوط كانت حركة حماس قد حاولت في بداية الثورة السورية التزام سياستها السابقة بعدم التدخل ، والتي تفادت بموجبها العديد من أخطاء منظمة التحريرفي الاردن ولبنان والكويت والذي حفظت فيه الدعم السوري لها وعزته الى النظام والشعب معاً بقولها" ان سوريا قيادة وشعباً وقفت مع مقاومة الشعب الفلسطيني وحقوقة المشروعة واحتضنت قوى المقاومة الفلسطينية وخاصة حماس وساندتها في اصعب الظروف واحلكها " ويقصد عندما تم أبعادها من الاردن في العام ١٩٩٩ ، كما عبرت في ذات الوقت عن تأييدها لمطالب الشعب بقولها " إن ما يجري في الشأن الداخلي يخص الاخوة في سوريا ، الا اننا في حركة حماس ، وانطلاقاً من مبادئنا التي تحترم إرادة الشعوب العربية والاسلامية وتطلعاتها ، فإننا نأمل بتجاوز الظرف الراهن بما يحقق تطلعات وأماني الشعب السوري ، وبما يحفظ استقرار سوريا وتماسكها الداخلي ويعزز دورها في صف المواجهة والممانعة (١٧).

وهذا الموقف لحركة حماس لم يعجب النظام السوري ورأس النظام "بشار الأسد" وحزب البعث هناك، الذي يرى أن سوريا آوت وأحتضنت حماس وقياداتها ، وأنها تعرضت لضغوط شديدة بسبب هذا الاحتضان ، وانها وفرت دعماً سياسياً وإعلامياً ولوجستياً لها ، وان على حماس كما رأى النظام السوري ان يكون وفياً للنظام ، وفي المقابل فإن قطاعات من المعارضة كانت تطالب حماس ان تعلن تأييدها للثورة السورية ، بل وطالبهم بعضها بالخروج من سوريا حتى تنزع عن النظام الورقة التي يشهرها في وجه خصومه دائماً بأنها داعمة للمقاومة الفلسطينية ، ولكن قيادة حماس لم تستجب للضغوط من الجانبين ، وكان " خالد مشعل" رئيس المكتب السياسي لحماس يتابع الملف الاعلامي شخصياً ويحذر قيادات الحركة في الداخل والخارج من الانزلاق في أي كمين إعلامي ، نظراً لحساسية الموقف ودقته وخطورته ، فأي تأييد صريح وضمني للنظام يعني الانتحار السياسي ، واي إدانة صريحة أو ضمنية للنظام يعني إدخال حماس في مشكلة كبيرة مع النظام السوري(١٨).

وبعد طول انتظار وترقب، سمحت "حماس" بالتظاهرات المؤيدة للثورة السورية في القطاع فى ٢١ شباط٢٠١٢، بعد أن كان ذلك ضمن المحرمات، كما حيا "إسماعيل هنية" في ٢٤ شباط ٢٠١٢، خلال كلمة ألقاها في الجامع الأزهر بالقاهرة الشعب السوري قائلاً "أحيي شعب سوريا البطل، الذي يسعى نحو الديمقراطية والإصلاح"، أضف إلى ذلك زيارات قياداتها إلى عواصم الدول المطالبة بتنحي "الأسد"، ومنها أنقرة، رأس الحربة ضد نظام "الأسد" كونها تستضيف قيادات المعارضة وخصوصاً رئيس المجلس الوطني السوري آنذاك "برهان غليون" وعمان التي كانت من أوائل الداعين "الأسد" للتنحي، ومن ثم ادارت الحركة ظهرها لنظام الاسد الذي فتح لها ابوابه واحتضن قيادتها طوال السنوات الماضية، ونجت من الوقوع في خطأ كبير كان سيساوي ربما الخطأ الذي وقع فيه الراحل "ياسر عرفات" حين وقف مع الرئيس الراحل "صدام حسين"في دخول الكويت ،ويرجع تأخر "حماس" كثيرًا فى انحيازها للثورة السورية إلى حرصها على الترتيب لمرحلة ما بعد مغادرة قادتها دمشق وحاجتها إلى ضمانات عربية تحفظ لها دورها مستقبلاً، حيث كان نظام "الأسد" قد هيأ لحماس شبكة تحالفات أعطتها قوة ووضعًا مكنها من أن تكون لاعبًا رئيسيًا على الساحة الفلسطينية، وبالفعل وتعويضاً عن الدعم السورى

حط " خالد مشعل" الرحال في قطر ومعه عضوان من المكتب السياسي في اواخر شباط ٢٠١٢، بينما استقر "موسى ابو مرزوق" في القاهرة، وهذا ما يفسر أيضا قيام "هنية" بجولة الى كل من مصر والسودان وتونس، ولم تقف مرحلة المراجعة على الابتعاد عن النظام السوري، وانما امتدت إلى حليفتها إيران التي طالما دعمت الحركة ماليًا ومعنويًا وكانت عاصمتها طهران محجًا موسميًا لأعضاء قيادتها، إذ فاجأ القياديان بالحركة "احمد يوسف"، و"صلاح البردويل"، المجتمع الدولي يوم ٧آذار ٢٠١٢، بإعلانهما أن "حماس" "لن تتدخل في أي حرب محتملة بين إيران وإسرائيل، ولن تطلق ما في جعبتها من صواريخ على المستوطنات والمدن الإسرائيلية حال نشوبها"، وتنبع خطورة هذا التصريح من توقيته إذ تتوالى التصريحات الإسرائيلية بشأن تبني الخيار العسكري لتدمير المنشآت النووية الإيرانية، والأخرى التي تعكس تخوف إسرائيل من وقوف"حماس"و"حزب الله" الى جانب إيران حال قررت ضربها.(١٩).

ويرجع ابتعاد "حماس" عن إيران إلى استراتيجيتة الحركة الجديدة بالعودة إلى جماعة "الاخوان المسلمين" ذات المرجعية السنية المختلفة عن المرجعية الشيعية ووفقًا لنظرية المباريات، رجح مراقبون خسارة إيران، مقابل مكسب "حماس"، كونها تراهن على حصان رابح، فهي تعي أن وقوفها مع الثورة السورية سيضمن لها موقعا في سوريا الجديدة، عن طريق تحالفها مع "الإسلاميين" الذين سيشكلون جزءً هامًا من مكوناتها السياسية، كما سيتيح لها خيارات أخرى وحرية اكبر في التحرك والمناورة إقليميًا، بينما ربما ستتلقى إيران ضربة موجعة ستحدث خللاً في سياستها الاقليمية بخسارتها سوريا الجديدة، أضف إلى ذلك فقدانها جملة المكاسب التي كانت تجنيها من وراء التحالف مع "حماس" ومنها بناء منظومة معقدة من التحالفات الإقليمية الموالية كأوراق قوة تناور بها، وتحقيق قيادة العالم الإسلامي بدعمها القضية الفلسطينية، وحصول المشروع القومي الايراني على غطاء مقبول من خلال دعم حماس، اما عن الموقف من التصعيد الإسرائيلي على غزة في بادرة غير مسبوقة، امتنعت "حماس" عن المشاركة في الرد ضد التصعيد الإسرائيلي على غزة، ليس ذلك فقط بل لعبت دور الوسيط من اجل التهدئة مع إسرائيل بمشاركتها الوساطة المصرية بين إسرائيل وحركة "الجهاد"، وهذا أشبه بالدور الذي لعبته السلطة الفلسطينية قبل أكثر من ثلاث سنوات بينها والإسرائيليين بمشاركة الوساطة المصرية أيضًا ، ونرى أن "حماس" اليوم ليست هي ذاتها "حماس" الأمس، فالحركة تحولت في إطار المواقف والسياسات من الألف إلى الياء، بإبتعادها التدريجي عن معسكر (ايران

. سوريا . حزب الله)، بصفة مؤقتة او نهائية، والاقتراب اكثر من محور الاعتدال العربي ، وبخاصة إلى حاضنتها الطبيعية جماعة "الاخوان المسلمين" الصاعدة في تلك الدول، كما نستنتج أيضًا أنه رغم التحولات التي طرأت عليها، فهي يتنازعها جناحان متباينان في العديد من الرؤى والتصورات حيال أولويات المرحلة وسبل إدارة الصراع مع الاحتلال: (الأول) الذي يجسد المرونة والانفتاح يمثله "مشعل" و"أبو مرزوق" وطائفة واسعة من الضفة الغربية، فيما يتركز (الثاني) في غزة، ومن أبرز أنصاره "محمود الزهار"، ويواجه الأول بعض الصعوبات في تسويق رؤيته للتيار الثاني، فهو بحكم احتكاكه بالبيئة الإقليمية وخبرته بتعقيدات الواقع الدولي أكثر مرونة في التعاطي مع القضايا والأحداث من الثاني(٢٠).

ونرى ان سوريا تعد الصخرة التي أنقسمت عليها تحالفات كثيرة ، و أمور كثيرة قد تغيرت منذ أكثر من سنتين فثمة محاور جديدة قد تشكلت ، واخرى آخذه بالتشكل وكانت حركة حماس بعد ان اعلنت موقفها الصريح من الثورة اختارت بما لايقبل الشك الميل نحو المعسكر الاخواني في مصر، والخروج من محورها القديم اي محور ايران – سوريا – حزب الله ، واكد القيادي في حركة حماس " صلاح البردويل" ((أردنا توجيه نصيحة الى حزب الله بصفته حزباً يمثل الخط المقاوم الذي نتبناه نحن ايضاً وهي ان قتال الحزب في سوريا يحرفه عن هدفه الرئيس وهو المقاومة ويزيد من حدة الاستقطاب الطائفي وبالتالي يعمق المشكلة السورية))، وأيضاً يؤثر ذلك على الوضع اللبناني الهش ولكنه استدرك بقوله ((ان هذا لايعني القطيعة مع حزب الله ، علاقتنا بالحزب لازالت قائمة وهي جيدة رغم الاختلاف في وجهات النظر تجاه سوريا ومن مصلحة المقاومة ان تظل كذلك))(٢١).

ازداد الخلاف حدة بين حركة حماس وحزب الله بشأن سوريا بعد اعلان حزب الله القتال علناً الى جانب النظام السوري ، اما حماس فقد سحبت قياداتها الى خارج سوريا ، قبل ان يغلق النظام مكاتبها معلناً القطيعة الكاملة معها ، وازداد الخلاف حدة بعد تدخل حزب الله في منطقة "القصير" تحديداً وحدثت أشكاليات كثيرة حيث قصفت الناحية الجنوبية ، وجهت بعض وسائل الاعلام الاتهام الى المخيمات الفلسطينية ، الامر الذي سارعت حركة حماس الى نفيه على لسان ممثلها في لبنان " علي بركة"، قبل ان يتواصل تدفق الأخبار عبر وسائل الاعلام مصحوباً بحملات النفي ، كما تم الحديث عن طرد قيادات الحركة من الضاحية الجنوبية ،

وتشديد الرقابة على من تبقى منهم ، إضافة الى منع إعطاء تأشيرات مرور لقيادات حماس الأمر الذي عدته الحركة إجراء فنياً فيما كانت التطمينات من الجانبين (٢٢).

اما بالنسبة لإيران فالموقف الذي اتخذته حركة حماس لم يرق لها ، وحاولت في البداية اقناع حماس بأن مايجري في سوريا هو مؤامرة مخطط لها ضد جبهة الممانعة ، وان هدفها الاساس هو رأس المقاومة ممثلة بحزب الله وحماس ، ولكن حماس فسرت رؤيتها للحكومة الإيرانية ان مايجري في سوريا لايخرج من سياق مايدور في المنطقة من تحركات شعبية وتعبيرات احتجاجية لاتخرج عن تطلعات الشعوب ورغبتها في الاصلاح السياسي والتغيير والديمقراطية ، اي انها ثورات تبحث فيها الشعوب عن الحرية الملموسة والكرامة الانسانية الضائعة في متاهات الانظمة الديكتاتورية اوالملكيات بتبعية مذلة في فلك الغرب، ولم تفلح إيران في اقناع حماس بصحة موقفها بعدها لجأ الايرانيون الى اعتماد سياسة " لي الذراع"من خلال تقليص الدعم المالي لحماس الحركة اوالحكومة او التوقف عن تقديمه اذ تعلم ايران انها الممول الاهم للحركة وان باقي الدعم من الدول الاخرى لايرقى الى مستوى دعمها الذي يوصف بأنه بالغ السخاء(٢٣)

الإيرانيون رؤيتهم الحالية قوامها إن الاجهاز على المقاومة (حماس وحزب الله والجهاد الإسلامي) هو الهدف وتحطيم سوريا الدولة هو هدف آخر، حيث ستخلو الساحة لإسرائيل للهيمنة عسكرياً على المنطقة، ولإعادة ترسيم الحدود الجغرافية والانتماءات السياسية والأيدولوجية بالشكل الذي يحفظ للغرب مصالحه الحيوية وامتيازاته في مجال النفط والغاز.، ربما الشيء الذي لم يقله راسم السياسة في طهران هو أن تحقيق مثل هذه الأهداف معناه تحويل إيران الدولة إلى جسد بدون أطراف، وساحة مفتوحة للاستهداف لذلك وعن طريق مخرجات مشهد الربيع العربي وتزامن الحراك الشعبي المصاحب له يمكننا فهم هذه العودة للتواصل بين حماس وإيران(٢٤).

فقد اكد مستشار " اسماعيل هنيه" للشؤون الخارجية ((ان العلاقة مع إيران مازالت قائمة رغم الاختلاف في وجهات النظر في بعض القضايا الاقليمية))، واضاف قائلاً((ان حركة حماس تتعامل مع كل من يتعامل مع المقاومة ، وعلاقتنا مع ايران ستنسحب على علاقتنا مع حزب الله وهي علاقة جيدة ولن نسمح بإحداث ثغرة ينفذ العدو عن طريقها لضرب المقاومة وتشتيت الانظار عن القضية الفلسطينية)) واكد ((ان موقف الحركة من سوريا لم يتغير فنحن

نقف على الحياد مع تفهمنا للكثير من القضايا الاقليمية ، وان حل الاشكالية في سوريا يأتي من خلال إعطاء الشعب السوري الحقوق التي يطالب بها وان الحركة ليست مع اي نظام بديل يأتي ويكون متعاوناً مع إسرائيل او لعبة بيد الولايات المتحدة الامريكية وهذا موقف يناقش على عدة مستويات ً وهو الموقف المعلن))(٢٥).

وفي الحقيقة ايران لاترغب بقطع العلاقات مع حركة حماس لاسباب استراتيجية وسياسية نظراً لما تمر به المنطقة العربية من متغيرات خطيرة قد تطالها نتائجها السلبية في اي وقت ، بسبب حلفائها في المنطقة العربية من جانب وبرنامجها النووي وطموحها في لعب دور اقليمي حيوي في المنطقة من جانب اخر، فضلاً عن التدخل العسكري الامريكي الحاضر في سوريا الذي يهدد المنطقة وخصوصاً المصالح الإيرانية في المنطقة.

ولا نجافي الحقيقة ان قلنا ان اسباب تغير موقف ايران وحزب الله من حركة حماس ، ان دولة قطر تراهن على كسب موقف حماس في كل القضايا الاقليمية او تحييدها على الاقل ، وبالمقابل ايران وحزب الله وكتائب القسام تحبط اي اختراق لمحور المقاومة ، فقد دعمت دولة قطر رئيس المكتب السياسي لحماس " خالدمشعل" ، فقد استقبلت غزة أمير قطر الشيخ "حمد بن خليفة آل ثاني" المصادف ٢٠١٢/١٠/٢٣ في زيارة هي الأولى لرئيس دولة إلى قطاع غزة منذ سيطرة حماس على القطاع، وتأتي هذه الزيارة تحت عنوان " إعادة اعمار غزة"، وهي الزيارة لها دلالات سياسية بوصفها أمير دولة قطر أول زعيم عربي يكسر الحصار السياسي المفروض على قطاع غزة، ومن بين أهم الدلالات السياسية الأخرى أنها تشكل مكسباً سياسياً كبيراً لحركة " حماس"، وفي الوقت نفسه تكرّس الانقسام بين غزة والضفة الغربية لكن المهم في النهاية بالنسبة لحركة حماس هو مساعدة أبناء غزة للخروج من حالة الفقر والبطالة وان المشاريع التي سترعاها قطر من شأنها المساهمة في توفير فرص عملٍ لحوالي ١٥ ألف عامل وفني فلسطيني على مدى ثلاث سنوات(٢٦).

وبينت زيارة امير قطر أن حركة حماس انشطرت الى حركتين ، حركة حماس القطرية التي يتزعمها "خالد مشعل "وحركة حماس الايرانية التي يتزعمها "محمود الزهار" وقد انعكس الخلاف السياسي بين الطرفين على قيادات وقواعد الجناح المسلح للحركة فيما ظلت حركة الجهاد الاسلامي وحدها بموقف اقوى في الساحة الغزاوية "حماس القطرية " تتكتم بصورة أو باخرى على الخلافات داخل القيادات السياسية بسبب الأزمة السورية فقد تناقلت الانباء أن

المبلغ المالي الذي قدمته قطر الى خالد مشعل وقيمته (٢٥٠) مليون دولار جرى توزيعه على الجناح المؤيد لها فيما طالب اخرون بمخصصات كوادرهم فكان الجواب انتظروا ايران التي تتبنون وجهة نظرها، وهناك اتهامات خفية لقيادات حماس القطرية بانها وراء اغتيال القيادي في الجناح العسكري "احمد الجعبري" لتنديده بتصرفات " خالد مشعل" في انقرة ضد النظام السوري ، وقد تسرب بعض من اجتماعات قيادة حماس بغزة التي رفضت التمديد لمشعل برئاسة المكتب وطالبته باعتزال العمل السياسي فيما جاء الدعم المصري حقبة الرئيس المصري د. محمد مرسي"الى جانب اتصالات قطر للضغط على قيادات غزة المجتمعة بلغة التهديد والتحذير من أن طرد " خالدمشعل" سيفقدها غطاءها العربي وان ذلك سيكون لصالح تقدم حركة فتح عليها(٢٧).

وفي ضوء الطرح على حماس وضع مجموعة من الأفكارللتعامل مع التحديات الراهنة التي تواجهها منها(٢٨):

١. التواصل مع كل مكونات الأمة العربية والإسلامية ، لشرح وظيفة حماس كحركة تحرر، وحاملة أمانة على ثغرها الفلسطيني، واحتياجات هذا الثغر التي قد لا تبدو مفهومة أحيانًا لبعض الأطراف المناصرة لمشروع المقاومة في فلسطين فكل طرف داعم أو متعاطف مع حماس يرغب بأن تكون الحركة على صورته، فبعض القوى الإسلامية السنية المسكونة بالهاجس الطائفي لم تكن قادرة على فهم اضطرار حماس للعلاقة بإيران، بينما اهتمت إيران بتوظيف دعمها لحماس في سياق مشروع خاص قد يتعارض في بعض المحطات مع مشروع مقاومة الاحتلال.

٢.تحميل الأمة العربية والإسلامية ، بكل قواها مسؤوليتها تجاه فلسطين، ومنح فلسطين الأولوية في قضايا واهتمامات الأمة، انطلاقًا من كون فلسطين هي عنوان التحرر والتغيير الحقيقي، وأن نهضة الأمة لا يمكن أن تتم مع استمرار الحالة الاستعمارية في المنطقة، وأن الواجب الديني تجاه فلسطين ليس منوطاً بسكان فلسطين وحدهم، خاصة والحديث عن بقعة مقدسة لدى المسلمين جميعًا.

٣. دفع الحركة الإسلامية العالمية، لإعادة النظر في خطابها المتماهي عمليًا مع النزعات الوطنية، التي حين تتضخم لا بد وأن تكون على حساب فلسطين، وحساب أي رؤية عربية

وإسلامية تكاملية، بل وعلى حساب المشروع الإسلامي نفسه، وهو ما يفسر كثيرًا من مظاهر شقائنا العربي.

٤.هذه الأفكار تعتمد على التواصل الرسمي والفعاليات الجماهيرية والثقافية والإعلامية، وهو ما يتطلب إصلاح مؤسسات الحركة، وإعادة توظيفها بما يخدم تلك الأفكار على ضوء رؤية فكرية وخطة عمل واضحة، مع إنشاء أشكال تعاون مع كل المؤسسات والفعاليات التي تؤمن بهذه الأفكار.

٥. صياغة رؤية فكرية واضحة ومتسقة، تعالج كل القضايا المشكلة بالنسبة لطبيعة الحركة ووظيفتها وسلوكها وتحالفاتها وثوابتها، بحيث تشكل أرضية صلبة تقف عليها قاعدة الحركة في رؤية ذاتها ورؤية المحيط والعالم وطبيعة المشروع الذي تحمله.

نرى ان خطاب حركة حماس تجاه الأزمة السورية اكد انها مرت بمواقف سياسية محرجة وبالغة الخطورة كونها حركة مدعومة لأكثر من عقد من الزمن من محور الممانعة ، فوجدت حماس ان الحكمة تقتضي التزام الصمت وخاصة في الجانب الاعلامي حتى لاتثير النظام السوري من جانب والشعب السوري الثائر من جانب اخر، فبنيتها الفكرية اسست على الوقوف الى جانب الشعوب المقهوره وحقها في استرداد حقوقها من النظم السياسية الفاسدة ، في الوقت نفسه لم تستطع الجهر بموقفها علانية من نظام الاسد الذي استضافها وقدم لها الدعم بمختلف اشكاله لاسباب سياسية واستراتيجية تتعلق بالصراع السوري – الاسرائيلي ، فالمصالح التقت لحقبة من الزمن ولكن الاحوال تغيرت بعد مايسمى بالربيع العربي الذي ادخل المنطقة ومازال يدخلها في فلك التغييرات الجيوسياسية ، فالبيئة الاقليمية العربية تشهد تحولات قيد التشكل ، واكيد حركة حماس كحركة مقاومة تعد جزءاً اصيلاً من هذه التغييرات ولابد ان تتغيير الاصطفافات الاقليمية تبعاً لتغير الظروف والمصالح ومصلحة حماس اقتضت حالياً الابتعاد عن محور الممانعة والاقتراب من المحور القطري – التركي والمصري قبل سقوط الاخوان المسلمين في مصر، فقطر وتركيا حاولتا في الحقبة الأخيرة إيصال فكرة أساسية وجوهرية لحركة حماس بإن النظام السوري في طريقه للزوال ، وهذا مايجعل حماس لقمة سائغة في حال تم رسم ترتيبات أقليمية ودولية جديدة في المنطق العربية وبالتالي هذه النصائح السياسية من دولتين مقربتين من الأدارة الأمريكية جعل حماس تفكر ملياً في الخطوات المستقبلية القادمة وتتخذ موقفاً سياسياً صعباً كهذا تجاه النظام السوري وحلفائه في المنطقة .

الخاتمة

في ضوء الطرح السابق نرى ومنذ اندلا ع الثورات العربية ومن بينها الثورة السورية قبل أكثر من سنتين ، وحركة حماس وضعت على المحك مع النظام السوري وحلفائه من جهة ومساندة الشعب السوري المقاوم لنظام الاسد ، إذ إن سوريا عادة ما توصف بأنها دولة ممانعة في مواجهة إسرائيل ، فضلاً عن كونها دولة داعمة لموقف حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي، وهاتين الحركتين بطبيعة الحال يتسم نهجها بكونه مقاوم ورافض أيضاً لمسيرة التسوية مع إسرائيل، كما إن ترابط حركة حماس الوثيق مع سوريا جعلها تخشى من تداعيات موقفها من النظام السياسي السوري مما ينعكس ذلك على وضعها السياسي والاقتصادي والأمني والإستراتيجي، وخاصة وإن حركة حماس عادة ما توصف من قبل إسرائيل بأنها حركة إرهابية.

وحركة حماس كانت تخشى من اتخاذ أي موقف سلبي من النظام السوري خوفاً على لاجئيها الفلسطينيين المتواجدين في سوريا الذي يصل عددهم قرابة النصف مليون لاجئ حسب تقديرات الاونروا،مما قد يعرضهم إلى خطر محقق وبالفعل تعرض اللاجئين الفلسطينيين في مخيم اليرموك إلى القتل والتهجير مع سوء الأوضاع الخدمية والصحية والاقتصادية ، وهي الاوضاع ذاتها التي يعيش بها الشعب السوري.

ولطالما مثلت الأزمة السورية منزلقاً خطيراً لحركة حماس ، فسوريا كانت قد مثلت الداعم الإستراتيجي لحماس ، في الوقت الذي كانت تعاني فيه الأخيرة من القطيعة والجفاء مع الدول العربية ، فالمكتب السياسي للحركة مقره دمشق منذ أكثر من عشر سنوات وبالتالي ليس من السهولة إن تتخذ حركة حماس موقفاً معادياً لنظام الأسد الذي قدم لها الدعم .

كما إن حركة حماس في ذات الوقت عبارة عن حركة تحررية لا يمكنها إن تؤيد النظام السوري الذي يستخدم القوة تجاه المطالب الشعبية ،ففي حالة تأييدها للنظام السوري سيفقدها مصداقيتها على الصعيد الشعبي والساحتين العربية والإسلامية وهذا ما تخشاه حماس.

لذلك وجدت حماس نفسه أمام خيارين :

١. دعم الثورة السورية بمسمياتها الجيش الحر أو المعارضة السورية ، وبالتالي ستفقد الحليف المهم بالنسبة إليها والاهم هو النظام السوري ومن خلفه المحور الإيراني وحزب الله اللبناني مما يضطرها إلى مغادرة سوريا.

٢. الوقوف مع النظام السوري ودعمه بشتى أنواع الدعم وبالتالي ستفقد مصداقيتها في الشارع العربي والإسلامي ، مما سيزيد من عزلتها في محيطها العربي، وعليه وفي حال سقوط نظام الأسد سيجعل إمكانية بناء علاقة متميزة مع النظام السوري الجديد أمر في غاية الصعوبة .

في بداية الأزمة السورية حاولت حركة حماس إن لا تلجأ إلى الخيارين السابقين ، وسعت إلى التوسط بين النظام السوري والمعارضة في سبيل حل الأزمة وعدم توسيع دائرتها بالشكل الخطير الذي هي عليه ألان ، ففي البداية سعت قيادات حماس في إقناع الأسد بإجراء إصلاحات تمنع انتقال واستفحال الثورة إلى كامل سوريا ،ولكن لم تفلح المساعي في هذا المجال ، وتوسعت الأزمة وتجاوزت الخطوط الحمراء ، واصبح النظام يأكل ابنائه .

من هنا بدأ المأزق لحركة حماس يظهر بشكل واضح للعيان فحركة حماس أرادت الصمت والنظام السوري يطلب تأييدها عبر بيانات ولكن الحركة بدأت بالمماطلة لأنها لا تريد أن تصدر موقفاً ضد الثورة السورية ، ولا ترغب أيضاً بالوقوف ضد النظام السوري الذي دعمها لسنوات ، فرغبت بطرح خطاب سياسي وسطي ونرى هذا واضحاً في أحد بيانات الحركة مؤكدة، ان ما يحدث مسألة داخلية تتعلق بإخواننا السوريين ، رغم ذلك فإن حركة حماس وبحكم مبادئها واحترامها لإرادة وتطلعات الأمتين العربية والإسلامية تأمل بأن يتم تجاوز الظروف الراهنة بطريقة تحقق آمال وتطلعات الشعب السوري وتحافظ على استقرار سوريا وتماسكها الداخلي ، وهذا الموقف بطبيعة الحال لم يكن موضع ترحيب من طرفي النزاع في سوريا،وفي متابعة تطور موقف حركة حماس من الثورة السورية دعى رئيس المكتب السياسي لحركة حماس " خالد مشعل " إلى مؤتمر دعم الانتفاضة بطهران في ١تشرين الأول ٢٠١١ وطرح أفكاره بشأن ما يحدث في سوريا وفي الدول العربية إذ أثنى على خيارات الشعوب العربية بالتحرر وأكد على سياسة عربية وإسلامية وطنية نابعة من إرادة الشعوب وقائمة على استقلالية القرار السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي وضد التبعية للخارج والأجنبي ، مع عدم المساس بالوحدة الوطنية في كل

بلد وضد إثارة النعرات المذهبية والطائفية والعرقية وكل أشكال التقسيم لأبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة .

ومع تصاعد الاستخدام المفرط للقوة من قبل النظام السوري ضد الثورة الشعبية وعدم التوصل إلى اتفاقات بين طرفي الصراع في سوريا فشلت حركة حماس في إن تلعب دور الوسيط في الأزمة السورية ،لأن القضية مصيرية وليست مسألة عابرة يمكن حلها بسهولة ،فالنظام السوري أراد من حماس تأييد صريح وعليه قلصت إيران دعمها المادي لحركة حماس إزاء موقفها غير الواضح من نظام الأسد.

ونتيجة لهذه الضغوط بدأت قيادات حماس بمغادرة الأراضي السورية وهذا ما فهمته المعارضة في سوريا أنه تأييداً لها وإن الحركة اصطفت إلى جانب الثوار والثورة السورية، وكان لهذا الموقف صداه السلبي على حزب الله الذي رفض موقف الحركة واعتبره تخلياً صريحاً عن النظام السوري الذي قدم الكثير لحماس.

وتحدد موقف حركة حماس بشكل واضح من الأزمة السورية على لسان رئيس حكومة حماس في قطاع غزة " إسماعيل هنيه" في خطبة له بالجامع الأزهر في جمهورية مصر العربية ، واجاب عن التساؤلات حول هذا الموضوع هو تخلي حماس عن موقفها المحايد والمعلن الذي التزمته تجاه ما يجري في سوريا منذ تفجر الأوضاع هناك ، ففي بادرة هي الأولى حيا " هنيه" القيادي البارز في حركة حماس الشعب السوري ، وعد هذا الحديث الصريح عما يجري في سوريا من أبرز قادة حماس أول إعلان من الحركة بانحيازها للثورة السورية وهو ما يخالف موقفها الدبلوماسي منذ اندلا ع الثورة هناك الذي التزمت به نظراً لحساسية موقفها .

ومما يلاحظ أيضاً على نهج الحركة من الأزمة السورية إن قيادات الحركة قد قدمت النصح للنظام السوري وهذا ما وضحه عضو المكتب السياسي لحركة حماس الدكتور " صلاح البردويل" إذ أكد بأن الحركة أوصت الرئيس السوري " بشار الأسد" بأن لا يتوسع في العامل الأمني وان يشرع في إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإن يدخل تعديلات على الدستور ويجري انتخابات حرة ، ولكن لم يجد النصح نفعاً مع القيادة السورية.

وفيما يتعلق عن علاقة حركة حماس بإيران وطبيعة العلاقة بينهما بعد ما حصل في سوريا، فنرى إن بيئة ما بعد الربيع العربي قد تغيرت بكل المقاييس فإيران تحتاج حماس أكثر مما تحتاجه حماس إيران ، وذلك لأن حركة حماس قد ترى بدرجة أو بأخرى بديلاً يقدم الدعم لها

المادي والمعنوي كتركيا أو مصر أو قطر ، بالمقابل حاجة إيران إلى حركة حماس حاجة بنيوية لن تستطيع التخلي عنها بسهولة فهي حركة مقاومة تمتاز بعمق فكرها الإستراتيجي وبأنها أكثر تنظيماً من باقي حركات المقاومة وتمثل ورقة ضاغطة في تسيير مخططاتها في المنطقة العربية ، وتسيير أتجاه حركتها عند التعامل مع إسرائيل، وعليه إيران يمكن إن تتفهم موقف حماس من الثورة وعليه لن تقطع أواصر العلاقات معها بشكل نهائي فالمحور الإيراني السوري حماس حزب الله مهم جداً لملفات إيرانية لابد من حسمها مستقبلاً .

وهكذا نرى إن الربيع العربي قد أدخل المنطقة العربية في متاهات متعددة ، مقاييس الربح والخسارة غير واضحة المعالم لحد هذه اللحظة ومن بينها حركة حماس التي لا يعرف لحد الآن ما الذي ستجنيه من موقفها طبقاً لما يحصل على المستويين الإقليمي والدولي .

الهوامش والمصادر

(١)خليل علي حيدر، الحركات الإسلامية في الدول العربية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية ، أبو ظبي ، الإمارات ، ١٩٩٨، ص ٣١-٣٢.

(٢)تأليف مجموعة باحثين ، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس (١٩٨٧-١٩٩٦)، تحرير جواد الحمد واياد البرغوثي،دار البشيرللنشر والتوزيع ، عمان ١٩٩٧، ص ٥٥-٥٦.

(٣)المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٤)صبحي عسيلة، حماس في السلطة من الانقلاب على الضفة إلى حصار غزة ، كراسات إستراتيجية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة،العدد ٢١٠، ٢٠١٠، ص٥.

(٥)المصدر نفسه، ص٢٥.

(٦)إبراهيم غالي،حزب الله بين المقاومة ومتاهات السياسة اللبنانية ، كراسات إستراتيجية ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، العدد ١٧٣، آذار٢٠٠٧، ص ٢٨.

(٧)المصدر نفسه، ص٢٩.

(٨)المصدر نفسه، ص ٣٦-٣٧.

(٩)د. سعد بن نامي ، انماط تحالفات المشروع الإيراني وعلاقاته الإقليمية والدولية ودورها في المشروع أو إعاقته، في مجموعة باحثين في كتاب مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها، مركز دراسات الشرق الاوسط، عمان ، ٢٠١٢، ص ٣٧٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص ص٣٧٤-٣٧٥.

(١١) طارق عثمان، حماس والربيع العربي : جدل المكسب والخسارة ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، الرياض ، الشبكة الكترونية الدولية، ٢٠١٣، ص ٢-٣.

(١٢) المصدر نفسه،ص ٣-٤.

(١٣) د. احمد قنديل، مستويات متعددة : التأثيرات المحتملة للأزمة السورية، مجلة السياسة الدولية ، مؤسسة الاهرام ، القاهرة ، العدد ١٩٠، تشرين الاول ٢٠١٢ ص٦٠-٦١.

(١٤) المصدر نفسه، ص٦١.

(١٥) طارق عثمان ، مصدر سبق ذكره،ص ٥.

(١٦) نضال بيطاري، الفلسطينيون في سورية بين الثورة والقلق، مجلة الدراسات الفلسطينية ، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، العدد ٩١،صيف ٢٠١٢، ص ١٥٤.

(١٧) محمد غازي الجمل ، حماس والثورة السورية قراءة في الموقف والخطاب، صحيفة السبيل، الشبكة الكترونية الدولية ، ٢٠١٢/١/٥، وينظر أيضاً نضال بيطاري، المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(١٨) موقف حماس من الثورة السورية في الميزان ، مجلة المجتمع الكويتية ، الشبكة الكترونية الدولية، ٢٠١٢/٣/٢٤، ص ٤.

(١٩) عبد الرؤوف مصطفى الغنمي ، التحول الإستراتيجي لحماس الدوافع والمظاهر ، ملف الاهرام الإستراتيجي، الشبكة الكترونية الدولية ، موقع الاهرام الرقمي ، ٢٠١٣، ص١.

(٢٠) المصدر نفسه، ص١-٢.

(٢١) مالك سمارة ، حماس وحزب الله :سوريا جمعت سوريا فرقت قطيعة أم أزمة عابرة ، صحيفة الاخبار، الشبكة الكترونية الدولية، العدد٢٠٣٤، ٢١،حزيران ٢٠١٣،ص١-٢.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٢.

(٢٣) د. أحمد يوسف، حماس وايران حسابات السياسة ومصالح الأمة، وطن للانباء، الشبكة الكترونية الدولية، ٢٠١٣/٨/٤، ص٢.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٢.

(٢٥) مالك سماره، مصدر سبق ذكره،ص ٣.

(٢٦) وهيب ابو واصل، ماهي الدلالات السياسية لزيارة امير قطر لقطاع غزة؟، فرانس برس ٢٤، الشبكة الكترونية الدولية، ٢٠١٢/١٠/٢٣،ص١.

(٢٧) محمد سلامة، اشهار حماس القطرية وحماس الايرانية قريباً، صوت المواطن، الشبكة الكترونية الدولية، ٢٠١٣/٨/٢٦، ص١-٢.

(٢٨) ساري عرابي ، حماس التي خرجت من سوريا ولم تدخل مصر، قدس الاخبارية، الشبكة الكترونية الدولية، ٢٠١٣/٧/٢١،ص ٣-٤.